# ايوانية البحتري

## للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي

— ٤ —

( ذاك عندي وليستِ الدارُ داري  باقترابٍ منها ولا الجنس جِنْسي )

( ذاك ) إشارة الى المذكور في البيت الذي قبله ، من إعانته ربوع كسرى بدموعه التي حَبَسَها على الصَبابة والأسى . أي أن هذا كل ما عندي لتلك الربوع ، وكل ما يُمكنني أن أعينها به ، حالةَ كونها ليست هي داراً لي فأقترب منها وأتبوّأ لي من مقاصيرها مسكناً . ولا جنس الفرس الذين كانوا يعمُرونها بالسكنى فيها من جِنسي وعُنصري العربي : هم فرس آريُّون . وأنا عربيّ سامي . إذن لماذا تبكي ؟ فأجاب بقوله :

( غير نُعْمى لأهلها عند أهلي  غَرَسُوا من زَكائِها خيرَ غرس )

المراد بالنُعمى هنا اليدُ البيضاء أي المنّة والفضل والمعروف تصطنعه الى آخر ، يقول انه بكى على الربوع التي ليست بداره ولا أهلها عَرَباً من جنسه ونِجَاره ، غير أن هناك بدأ وصَنيعَة قديمةً اصطنعها أهلُ تلك الدار وهم الفرس عند أهلي وقومي وهم عرب اليمن . والزَكاء بالزاي بمعنى السخاء والخِصب ، يقال زكت الأرض إذا كانت طيبة التربة خِصبة . وضمير زكائها يرجع الى النُعمى فهو قد جعلها نباتاً ونَسَبَ اليها الزَكاء والخِصب . أي أن الفُرس غرسوا من زَكاء النُعمى التي صنعوها عندَ قومي خيرَ غرس . كأنه يقول إن معروفهم عندنا غير ضائع ، بل هو يبقى زاكياً ناميا مغروساً في نفوسنا خيرَ



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غرس لكونه مصطنعاً عندنا نحن العرب الذين يحفظون الجميل ، ويعرفون للمحسن إحسانه . وقد عَنى البحتري بأهله الذين أسدى اليهم الفرس معروفاً قبيلةَ طيّئ التي ينتسب هو اليها كما ينتسب اليها أيضاً أستاذه ( أبو تمام ) ولذلك يطلق عليهما أحياناً اسم ( الطائيين ) .

وطيئ من كهلان . وكهلان أخو حمير . ينتميان كلاهما الى قحطان وقحطان جدُّ عرب اليمن . كما أن عدنان جدُّ عرب الحجاز . وقد هاجرت طيئ من اليمن عقبَ حادثة سيل العَرِم فنزلوا نجداً في جبلي أَجَإٍ وسَلْمى المشهورين . واشتهرت طيئ قديماً عند السريان والفُرس حتى غَلَب اسمُها على ( العرب ) فسموا كل العرب طيئاً . أما اليوم فجبَلا ( طيئ ) وهما أجأ وسلمى سميا جَبَل شَمَّر . وبقايا طيئ سموا أيضاً شَمَّر باسم الجبل . بقي أن نعرف ما هي المِنَّة التي أسداها الفرس الى عرب اليمن قومِ البحتري ؟ لقد أشار اليها البحتري نفسه بقوله :

( أيدوا مُلكنا وشدُّوا قُواه بكُماةٍ تحت السَنَوَّر حُمْسِ )
( وأعانوا على كتائبِ ( أَرْيا ط ) بطعنٍ على النحور ودَعْسِ )

ضمير ( أيدوا ) يرجع الى أهل الإيوان يعني بهم الفرس . وقوله ( مُلكنا ) أي معشر أهل اليمن . و ( الكُماة ) جمع كميّ البَطَل المدجَّج بالسلاح . والسَنَوَّر بفتح السين السِلاح عامةً أو هي الدُروع من قِدٍ أي جلد . وحُمْس بضم الحاء جمع أحمس وهم الشديدون في دينهم الأقوياء في الدفاع والمقاومة اذا اعتدي عليهم معتد ، وأرياط أول قائد نزل بلاد اليمن واستولى عليها من قِبَل ( أصحمة ) نجاشي الحبش . ودَعْس بمعنى طعن ، معطوف على طعن عطف تفسير . يقول إن النُعمى واليد البيضاء التي للفرس علينا معشر العرب اليمانين هي تأييدُهم مُلكنا بأبطالهم وإعمالهم الرماح في أقفية جيوش ( أرياط ) الحبشية . هذه هي النُعمى ملخصةً . أما ما قاله المؤرخون في تفصيل هذه الحادثة أو النُعمى ففيه ما يدلُّ على خطأ البحتري في قوله ( أرياط ) وكان الصواب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لو قال ( مسروق ) . ذلك أن ملوك حمير ظلموا نصارى بلادهم فأرسل ( أصحمة ) ملك الحبَش ( والحبش نصارى ) جيشاً مع أحد كبار قواده المسمى ( أرياط ) ومعه قائد آخر اسمه ( أبرهة ) ففتحا بلاد اليمن وأذلاَّ ملوكها من حمير . وكان ذلك في أوائل القرن السادس للميلاد . ثم وقع خلاف بين ( أرياط ) و ( أبرهة ) فقُتل ( أرياط ) واستبدَّ ( أبرهة ) ببلاد اليمن ، فجار وظلم وأنزل بأهلها المحن . وبنى كنيسةً سميت ( القَلِيس ) بمعنى الكنيس والكليس هي ( الكنيسة ) أي الكنيسة . وأراد صَرْفَ وجوهِ العرب عن الكعبة اليها أي إلى القليس ، فجاء شيطان من شياطين عرب الحجاز فتغوَّط فيها فغضب أبرهة وزحف الى الحجاز ليهدم الكعبة المشرَّفة ، فرده الله بأن أرسل عليه الطير الأبابيل في قصة مشهورة لخَّصتها سورة الفيل ( ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ) الى آخر السورة . ثم هلك ( أبرهة ) وخلفه ابنه ( مسروق ) . وفي زمنه نشأ سيف بن ذي يَزَن الحميري فهاله ما نزل بقومه . فذهب الى قيصر مستنجداً به على الحبش فلم يفعل قيصر شيئاً لأن الحبش نصارى . فحوَّل سيف وجهه الى فارس ، واستنجد بكسرى . فتعلَّل ببعد بلاد اليمن وقلَّة فائدته من فتحها . ووهب له مالاً فخرج سيف من لدنه مُغضَباً ونثر المال يميناً وشمالاً على رؤوس الخَدَم . فاستاء كسرى واسترجعه وسأله عن السبب في استهانته بعطيته . فقال إنما جئتك لتدفع عني الظلم . وإلا فان بلادي تنبت الذهب والفضة . فتأثر كسرى واستمهله أياماً . واستشار وزراءه . فأشار عليه كبيرهم بأن يُرسل الى نُصرته المساجين في مملكته فشحَنَهم في ثماني سفن . غَرِقت منها اثنتان ونجا الباقون . حتى بلغوا اليمن . فنزلوا ساحلها وأحرق قائدهم ( وهرز ) السفنَ . كما فعل طارق بن زياد بعد ان وطئ أرض الأندلس . وقال وهرز لقومه : إما الفتح وإما الهلاك . أما الرجوع فلا . ثم التفت الى ( سيف بن ذي يزن ) وقال له : وما لنا عندك ؟ قال ( لك مني رجلٌ عربي ودمٌ عربي ) ثم قتلوا مسروقاً وطردوا الحبَش من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اليمن . وولوا سيفاً ملك آبائه ، فجاءت وفود العرب تهنئه وفي جملتهم سيدنا عبد المطلب ( جد النبي ﷺ ) ومعه أُميَّة ابن أبي الصلت شاعر قريش يومئذ فقال في مدح ( سيف ) القصيدة التي منها :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً في قصر غمدان داراً منك محلالا
تلك المكارمُ لا قَعبانِ من لَبَن شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

وهكذا انتصر الفرس [1] لعرب اليمن وأعادوا اليهم ملكهم فحفظت العرب هذه اليد لهم وسجَّلوها بلسان شاعرهم الطائي اليماني فقال :

أيَّدوا مُلكنا وشدُّوا ( عراه ) بكُماةٍ تحت السَّنَوَّر حُمْس
وأعانوا على كتائبِ ( مسْرو قٍ ) بطعن على النحور ودَعْس

ثم ان البحتري ختم ( ايوانيَّته ) بهذا البيت العامر بمعاني الإنسانيَّة فقال :

( وأُراني من بعدُ أكْلَفُ بالأشـــــراف من كل سِنْخٍ وأُسّ )

( كَلِفَ ) به : أحبه وأُولع به . و ( السِنخ ) بكسر أوله و ( الأُسُّ ) مثلث الأول كلاهما بمعنى الأصل . يقول أرى نفسي بعد أن كان ما كان من مساعدة أشراف فارس وأحرارها لقومي العرب كَلِفاً مُولعاً بحب الأشراف من أي جنسٍ كانوا عرباً أو عجماً ومن أي أرض نبتوا في جزيرة العرب أو في بلاد فارس أو غيرها بشرط أن يكونوا أشرافاً أحراراً ذوي مُروءة ونجدة .

هذه هي قصيدة البحتري أو معلقته في وصف إيوان كسرى ، وأرى أن نسميها ( الإيوانية ) كما نسمي كل قصيدة قيلت في وصف الأبنية التاريخية أو الأثرية القديمة ( إيوانية ) ومجموع تلك القصائد ( الإيوانيات ) . من ذلك ( إيوانية ) احمد شوقي الذي عارض بها ( إيوانية ) البحتري مذ كان في

---

(١) وبقايا هذا الجيش الفارسي توطنوا بلاد اليمن ونسلوا فيها وسموا أولادهم ( الأبناء ) حتى اذا قيل في ترجمة أحد اليمانين انه من الأبناء أرادوهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منفاه أيام الحرب . وزار قُرطبة وقصر الحمراء وسائر الآثار العربية الخالدة هناك فقال في مطلع ابوانيته :

( اختلافُ النهار والليلِ يُنسي أُذكرا لي الصِبا وأيامَ أُنسي )

ثم تشوق وطنه مصر ومما قاله في ذلك :

( وطني لو شُغلتُ بالخُلد عنه نازعتني اليه في الخلد نفسي )

الى أن قال :

( وعظ البحتريَّ إيوانُ كسرى وشفتني القصورُ من عبد شمس )

يريد بقصور عبد شمس الأبنية التي شيَّدها ملوك أمية من سلالة جدهم الأكبر في الجاهلية وهو عبد شمس إلى أن قال :

( مشت الحادثات في غُرَف الحمـــراء مشيَ النعيِّ في دار عُرسِ )

ومنها قوله في الثلج الذي على قمّة جبل شِيرى :

( جلّل الثلجُ دونها رأسَ شيرى فبدا منه في عصائبِ بِرْس )

ومنها في وصف بلاد اسبانية اليوم :

( لا تحسُّ العيون فوقَ رُباها غيرَ حُورٍ حوّ المراشف لُعْسِ )

ثم ختم إبوانيته بقوله :

( إمرة الناسِ همّةٌ لا تأتّى لجبانٍ ولا تسنّى لجبْس )

( واذا ما أصابَ بنيانَ قومٍ وهْيُ خُلْقٍ فإنه وهْيُ أُسِّ )

ويلغني أن أحد كبار شعراء فارس الموسوم بالخاقاني زار إبوان كسرى منذ مائتي سنة كما زاره البحتري قبله ، ونظم ـ أي الخاقاني ـ في وصف الإيوان قصيدةً ( إبوانية ) بديعةً باللغة الفارسية . زعموا أنه أبرّ فيها على ( إبوانية ) البحتري . هذا والأمم الواعية اليوم انما يتحقق وعيها بالمحافظة على تراث أجدادها ولا سيما ما خلّدوه تحت الأرض أو فوقها من الآثار . وقد انتبهنا معشر العرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أخيراً الى العناية بآثار الأجداد . لتكون درساً وذكرى للأبناء والأحفاد . وأبلغ ما نُقل عن أسلافنا في الحض على حفظ الآثار والنهي عن إضاعتها وتدميرها قول القاضي ( أبي يعلى المعرّي ) وهو :

( مررت برسمٍ في ( سِياثَ ) فراعني ... به زَجَلُ الأحجارِ تحت المعاول )

( تناولها عَبْلُ الذراع كأنما ... رَمى الدهرُ فيما بينهم (١) حَرْبَ وائل )

( أتُتلِفُها ؟ شلّت يمينك خَلْها ... لمعتبرٍ أو زائرٍ أو مسائلِ )

( منازلُ قومٍ حدّثتنا حديثَهم ... ولم أرَ أحلى من حديث المنازل )

* * *

## قصيدة البحتري

صُنْتُ نَفْسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفْسي ... وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدا كُلِّ جِبْسِ

وَتَماسَكْتُ حَيْثُ زَعْزَعَني الدَّهْـ ... ـرُ اِلْتِماساً مِنْهُ لَتَعْسي وَنَكْسي

بُلِّغٌ مِنْ صُبابَةِ العَيْشِ عِندي ... طَفَّفَتْها الأَيّامُ تَطْفيفَ بَخْسِ

وَبَعيدٌ ما بَيْنَ وارِدِ رَفْهٍ ... عَلَلٌ شُرْبُهُ وَوارِدِ خِمْسِ

وَكَأَنَّ الزَّمانَ أَصْبَحَ مَخْبو ... لاً : هَواهُ مَعَ الأَخَسِّ الأَخَسّ

وَاشْتِرائي العِراقَ خُطَّةُ غُبْنٍ ... بَعْدَ بَيْعي الشّآمَ بَيْعَةَ وَكْسِ

---

(١) أي في ما بين عبل الذراع وبين أحجار تلك المدينة وآثارها . يقول ان هذا الضرب والهدم بينه أي بين عبل الذراع وبين الآثار كأنها حرب وائل أو أن المراد ان بغضه لها كالبغض الذي شبت بسببه حرب وائل وهي المشهورة بحرب البسوس . وعبل الذراع أي مفتول الساعد كناية عن قوة العامل في الهدم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا تَزُرْنِي مُزاوِلاً لاخْتِباري ... عِنْدَ هٰذِي البَلْوى فَتُنكِرَ مَسِّي
وَقديماً عَهِدْتَني ذا صِفاتٍ ... آبِياتٍ عَلَى الدَّنِيئاتِ شُمْسِ
وَلَقَدْ رابَنِي نُبُوٌّ ابنِ عَمِّي ... بَعْدَ لينٍ مِنْ جانِبَيْهِ وَأُنْسِ
وإذا ما جُفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا ... أَنْ أُرَى غَيرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمْسِي
حَضَرَتْ رَحْلَيَ الهُمُومُ فَوَجَّهْـ ... ـتُ إِلَى أَبْيَضِ المَدائِنِ عَنْسِي
أَتَسَلَّى عَنِ الحُظُوظِ وَآسَى ... لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ ساسانَ دَرْسِ
ذَكَّرَ تَنْيِيمُ الخُطوبُ التَّوالي ... وَلَقَدْ تُذْكِرُ الخُطوبُ وَتُنْسي
وَهُمُ خافِضُونَ في ظِلِّ عالٍ ... مُشْرِفٍ يُحْسِرُ العُيونَ وَيُخْسِي
مُغْلَقٍ بابُهُ عَلَى جَبَلِ القَبْـ ... ـقِ إِلَى دارَتَيْ خِلاطٍ وَمُكْسِ
حِلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلالِ سُعْدى ... في قِفارٍ مِنَ البَسابِسِ مَلْسِ
وَمَساعٍ لَوْلا المُحاباةُ مِنِّي ... لَمْ تُطِقْها مَسْعاةُ عَنْسٍ وَعَنْبَسِ
نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الجِـ ... ـدَّةِ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضاءَ لُبْسِ
فَكَأَنَّ الجِرْمازَ مِنْ عَدَمِ الأُنْـ ... ـسِ وَإِخْلاقِهِ بَنِيَّةُ رَمْسِ
لَوْ تَراهُ عَايَنْتَ أَنَّ اللَّيالي ... جَعَلَتْ فيهِ مَأْتَماً بَعْدَ عُرْسِ
وَهُوَ يُنْبِيكَ عَنْ عَجائِبِ قَوْمٍ ... لا يُشابُ البَيانُ فيهِمْ بِلَبْسِ
فَإِذا ما رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطا ... كِيَةَ ارْتَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسِ
وَالمَنايا مَوائِلٌ وَأَنوشَرْ ... وانُ يُزْجِي الصُّفُوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في ٱخْضِرارٍ مِنَ ٱللِّباسِ عَلى أَصْـــفَرَ يَخْتالُ في صَبيغَةِ وَرْسِ
وَعِراكُ ٱلرِّجالِ بَيْنَ يَدَيْهِ في خُفوتٍ مِنْهُم وَإِغْماضِ جَرْسِ
مِنْ مُشيحٍ يَهْوي بِعامِلِ رُمْحٍ وَمُليحٍ مِنَ ٱلسِّنانِ بِتُرْسِ
نَصِفُ ٱلعَيْنُ إِنَّهُمْ جِدُّ أَحْيا ءٍ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشارَةُ خُرْسِ
يَغْتَلي فيهِمُ ٱرْتِيابِيَ حَتّى تَتَقَرّاهُمُ يَـدايَ بِلَمْسِ
قَدْ سَقاني وَلَمْ يُصِرَّ أَبُو ٱلغَوْ ثِ عَلى ٱلعَسْكَرِيْنِ شَرْبَةَ خاسِ
مِنْ مُدامٍ تقولها هِيَ نَجْمٌ ضَوْأُ ٱللَّيْلِ أَوْ مُجاجَةُ شَمْسِ
وَتَراها ـ إِذا أَجَدَّتْ سُروراً وَٱرْتِياحاً لِلشّارِبِ ٱلْمُتَحَسِّي
أُفْرِغَتْ في ٱلزُّجاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ فَهِيَ مَحْبوبَةٌ إِلى كُلِّ نَفْسِ
وَتَوَهَّمْتُ أَنَّ كِسْرى أَبَرْويـــزَ مُعاطِيَّ وَٱلبَلاهْبُـذَ إِنْسي
حُلُمٌ مُطْبِقٌ عَلى ٱلشَّكِّ عَيْني أَمْ أَمانٍ غَبَّرْنَ ظَنّي وَحَدْسي
وَكَأَنَّ ٱلإِيوانَ مِنْ عَجَبِ ٱلصَّنْـــعَةِ جَوْبٌ في جَنْبِ أَرْعَنَ جَأْسِ
يُتَظَنّى مِنَ ٱلكَآبَةِ إِنْ يَبْـــدُ لِعَيْنَيْ مُصَبِّحٍ أَوْ مُمَسِّي
مُزْعِجاً بِٱلفِراقِ عَنْ أُنْسِ إِلْفٍ عَزَّ أَوْ مُرْهَقاً بِتَطْليقِ عِرْسِ
عَكَسَتْ حَظَّهُ ٱللَّيالي وَباتَ ٱلْـــمُشْتَري فيهِ وَهْوَ كَوْكَبُ نَحْسِ
فَهُوَ يُبْدي تَجَلُّداً وَعَلَيْـــهِ كَٱكْتِئابٍ مِنْ كَلاكِلِ ٱلدَّهْرِ مُرْسِي
لَمْ يَعِبْهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ ٱلدِّيـــباجِ وَٱسْتَلَّ مِنْ سُتُورِ ٱلدِّمَقْسِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مُشْمَخِرٌ تَعْلو لَهُ شُرُفاتٌ رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوى وَقُدْسِ
لابِساتٌ مِنَ الْبَياضِ فَما تُبْـــصِرُ مِنْها إلا غَلائِلَ بُرْسِ
لَيْسَ يُدْرَى أَصُنْعُ إنسٍ لِجِنٍّ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسِ
غَيْرَ أَنِّي أَراهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بانِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنَكْسِ
فَكَأَنِّي أَرَى الْمَراتِبَ والْقَوْ مَ إذا ما بَلَغْتُ آخِرَ حِسِّي
وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضاحِينَ حَسْرى مِنْ وُقُوفٍ خَلْفَ الزِّحامِ وَجَلْسِ
وَكَأَنَّ الْقِيانَ وَسْطَ الْمَقاصِيـــرِ يُرَجِّعْنَ بَيْنَ حُوٍّ وَلُعْسِ
وَكَأَنَّ اللِّقاءَ أَوَّلَ مِنْ أَمْـــسِ وَوَشْكَ الْفِراقِ أَوَّلَ أَمْسِ
وَكَأَنَّ الَّذي يُرِيدُ اتِّباعاً طامِعٌ فِي لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ
عُمِرَتْ لِلسُّرُورِ دَهْراً فَصارَتْ لِلتَّعَزِّي رِباعُهُمْ وَالتَّأَسِّي
فَلَها أَنْ أُعِينَها بِدُمُوعٍ مُوقَفاتٍ عَلَى الصَّبابَةِ حُبْسِ
ذاكَ عِنْدي وَلَيْسَتِ الدَّارُ داري بِاقْتِرابٍ مِنْها وَلا الْجِنْسُ جِنْسي
غَيْرَ نُعْمى لِأَهْلِها عِنْدَ أَهْلي غَرَسُوا مِنْ زَكائِها خَيْرَ غَرْسِ
أَيَّدوا مُلْكَنا وَشَدُّوا قُواهُ بِكُماةٍ تَحْتَ السَّنَوَّرِ خُمْسِ
وَأَعانُوا عَلَى كَتائِبَ (أَرْيا ط) بِطَعْنٍ عَلَى النُّحُورِ وَدَعْسِ
وَأَرانِي مِنْ بَعْدُ أَكْلَفُ بِالْأَشْـــرافِ مِنْ كُلِّ سِنْخٍ وَأُسِّ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net